

## شرح العقيدة الواسطية

### الدرس التاسع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أمّا بعد:  
فقد وقفنا في الدرس الماضي عند صفة الكلام.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقوله: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}، {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا})**

هذا استفهام المراد منه النفي؛ أي: أنه لا أحد أصدق من الله سبحانه وتعالى حديثاً وقولاً، والشاهد من هاتين الآيتين قوله {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}، فأثبت أنّ الله سبحانه وتعالى يتحدث، والحديث هو الكلام، فثبت بذلك صفة الكلام لله تبارك وتعالى، وكذلك: {قِيلًا}، يعني: قولاً، والقول أيضاً كلام؛ فلا يكون إلا باللفظ.

قال: **(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ)**

الشاهد قوله: {قَالَ اللَّهُ} فأضاف القول إلى الله تبارك وتعالى، والقول: لفظ مسموع يكون بصوت؛ فهو كلام.

قال: **({وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا})**

الشاهد قوله {كَلِمَتُ رَبِّكَ} أي: كلمات ربك كما جاء في قراءة أخرى، وتمت كلمات ربك، والمعنى واحد، فكلمة هي من المفرد المضاف الذي يعم؛ فيشمل جميع الكلمات، فأثبت لنفسه الكلام في هذه الآية {صِدْقًا وَعَدْلًا} كلام الله تبارك وتعالى دائر بين الصدق والعدل، فالأخبار كلّها صدق والأحكام كلّها عدل؛ فالعدل في الأحكام والصدق في الأخبار.

قال: **{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}**

هذا فيه إثبات أنّ الله تبارك وتعالى كلّم موسى، ففيه إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى، وموسى سمع كلام الله تبارك وتعالى، ثم أكد ذلك بقوله {تَكْلِيمًا} فهو مصدر مؤكد للكلام، وإذا أكد الكلام بمصدر؛ فهذا يكون نافياً للمجاز؛ احتمال المجاز منفي غير وارد؛ لأنه مؤكد {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} فإذا كان الكلام تكليم حقيقي وليس مجازاً، فلما أشكلت هذه الآية على بعض الجهمية حرّفوها، فغير الضمة في لفظ الجلالة وجعلها فتحة حتى يكون موسى هو المتكلم وليس الله سبحانه وتعالى؛ لأنها آية صريحة فما استطاع أن يفعل إلا هذا.

قال: **{مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ}**

الله سبحانه وتعالى هو المتكلم؛ فأثبت لنفسه كلاماً حقيقياً.

قال: **{وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}**

كلام صريح، الله سبحانه وتعالى كلّم موسى كلاماً حقيقياً وسمعه موسى.

قال: **{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}**

{وَنَادَيْنَاهُ} المناداة كلام؛ فإنها تكون بصوت، فهي كلام.

{وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} المناجاة تكون للقريب، والمناداة للبعيد، هذا يثبت ما يقوله أهل السنة في صفة كلام الله تبارك وتعالى: أنّه يتكلم كيف يشاء ومتى شاء كلاماً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، وليس ككلام المخلوقين - تعالى الله تبارك وتعالى عن ذلك - لكنّه يتكلم كلاماً حقيقياً كما أثبت لنفسه في كتابه وفي سنة نبه ﷺ بآيات وأحاديث صريحة لا إشكال فيها.

قال: **{وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}**

{وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ} والنداء يكون كلاماً بصوت، {وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ} ناداه؛ ماذا قال له: {أَنِ ائْتِ}، (أن) هذه تفسيرية، تفسر لنا مناداة الله تبارك وتعالى، {أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} أي: هذه مناداة الله تبارك وتعالى له، فقال له قولاً بصوت هذا مضمونه.

قال: **{وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ}**

أيضا نفس التي قبلها {وَنَادَاهُمَا} أي: نادى الله سبحانه وتعالى آدم وحواء، النداء يكون بصوت؛ فهو كلام.

قال: **{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ}**

هذه كذلك فيها مناداة، والمنادي هو الله سبحانه وتعالى. فهذه الآيات كلها تدلّ على أنّ الله تبارك وتعالى يتكلم بكلام حقيقي متى شاء، وبما شاء، وكيف شاء، بحرف وصوت مسموع، لا يُماثل أصوات المخلوقين. متى أراد أن يتكلم تكلم، وبما شاء أن يتكلم تكلم، شاء أن يتكلم بالقرآن تكلم، شاء أن يُكلّم موسى فكلّمه؛ وهكذا.

كيف شاء، كيفية كلام الله تبارك وتعالى نحن لا نعرفها؛ فنفوضها إلى الله سبحانه وتعالى، يتكلم، كيف يتكلم؟ الله أعلم، لأنّ الله سبحانه وتعالى لم يخبرنا كيف يتكلم، أخبرنا أنّه يتكلم؛ ولكنّه لم يخبرنا بالكيفية، فنثبت له الكلام الذي أخبرنا به ونفوض الكيفية إليه ونقول الله أعلم بها، كما قال الإمام مالك عندما سُئل عن استواء الله، قال: (الاستواء معلوم)، على مقتضى اللغة العربية فهو العلو والارتفاع، (والكيف

مجهول) كيفية الاستواء هذه نجهلها لا نعرفها، (والسؤال عنه بدعة)، أي: السؤال عن الكيفية بدعة محدثة.

بحرف وصوت مسموع؛ هكذا نعتقد أنّ الله سبحانه وتعالى يتكلم بكلام حقيقي يليق بجلاله وعظمته ويتكلم بصوت وحرف كما جاء في الحديث: "أنّ الله سبحانه وتعالى يُنادي بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قَرَب"، وكما جاء في الحديث الآخر أنّ النبي ﷺ قال: "لا أقول ألم حرف؛ ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"، وجاء عن غير واحد من الصحابة والتابعين أنّهم قالوا: من أنكر حرفاً من كتاب الله فقد كفر، فهم يُقرون أنّ كلام الله بحرف وصوت، لا يُماثل أصوات المخلوقين، ننفي أنّه مماثل لأصوات المخلوقين لأنّ الله تبارك وتعالى قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} أثبت لنفسه سمعاً وبصراً، ونفى أن يكون هذا السمع والبصر مماثلاً لسمع وبصر المخلوقين؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله تبارك وتعالى:

أنّه يتكلم حقيقة بحرف وصوت، وهذا أمرٌ متفق عليه بين أهل السنة؛ بل كان متفقاً عليه في بداية الإسلام إلى أن ظهرت الجهمية وبدأت تخوض بباطلها وفسادها وانتشرت فتنهم، والله المستعان.

ثم بعد أن ذكر المؤلف رحمه الله صفة الكلام؛ وهي من الصفات العظيمة التي تنازع فيها أهل السنة مع الجهمية وأهل الباطل الذين ينفون عن الله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه من أسماء ومن صفات، فصفة الكلام من الصفات العظيمة التي حصل فيها الاختلاف وحصلت بسببها الفتن بين الناس في زمن المأمون وما بعده، ومسألة القرآن وهل هو كلام الله تبارك وتعالى أم أنّه مخلوق؛ هذه مسألة تابعة للمسألة التي سبقتها، فمن قال بأنّ الله تبارك وتعالى يتكلم بكلام حقيقي يليق بجلاله وعظمته؛ لم يعد عنده إشكال في أنّ القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ومن قال بأنّه لا يتكلم حقيقة كما قالته

الجهمية بجميع طوائفها من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وماتريدية وغيرهم؛ يقولون القرآن مخلوق، سواء صرحوا بذلك أو لم يصرحوا، جميعهم في النهاية عندهم القرآن مخلوق، بعضهم ينفي أنّ الله سبحانه وتعالى يتكلم نهائياً، لا كلام نفسي ولا غيره، الأشاعرة يقولون يتكلم لأنهم قد واجهتهم آيات وأحاديث كثيرة وما استطاعوا أن يردوها كما تجرّأ على ذلك المعتزلة والجهمية ولكنهم حرّفوها، كيف حرّفوها؟ قالوا: يتكلم كلاماً نفسياً ليس بحرف ولا صوت؛ أي:، كلام موجود في النفس لكنّه ليس حرفاً ولا صوتاً؛ يعني أنّه لا يتكلم، ولكن بطريقة ملتوية.

وأما أولئك الجهمية والمعتزلة قالوا: لا يتكلم وانتهى الأمر، وهؤلاء قالوا: لا؛ لا نريد أن نخالف القرآن والسنة صراحة مع كثرة الأدلة الواردة في ذلك؛ فنقول: يتكلم لكنّه كلام نفسي، يعني أيضاً أنّه لا يتكلم، وبناء على ذلك قالوا القرآن الذي بين أيدينا هذا ليس كلام الله، ماذا يصبح؟ يصبح مخلوقاً، يعني قريب من قول الذين قالوا: {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} أولئك قالوا بأنّه مخلوق وهؤلاء قالوا بأنّه مخلوق.

هذه المسألة- مسألة أن القرآن مخلوق- أول ما بدأت انتشاراً؛ بدأت في عهد الإمام أحمد عندما لبس بعض أهل الباطل من الجهمية على المأمون وكان أحد الخلفاء العباسيين؛ فتبنى قولهم في ذلك، وأنّ القرآن مخلوق وبدأ يمتحن علماء المسلمين بهذا القول.

وهو قول محدث باطل، فعلماء المسلمين جميعاً كانوا على ضده وكانوا يحاربونه لكنه أخذهم بالسيف، فمن أقترّ تركه، ومن لم يقر هدهد بالقتل والجلد حتى يقر ولا قتله، كثير منهم أجاب من أجل أن يتخلص من السيف وتحت الإكراه وتأول لنفسه بأنّه مكره.

وأما الإمام أحمد ومحمد بن نوح فثبتا ولم يُقَرَّ بما أراد المأمون؛ وذلك أنَّ الإمام أحمد ومحمد بن نوح رأيا أنَّ الكلام في مثل هذا الموطن باطل ولا يجوز وليست لهم رخصة حتى تحت تهديد السيف؛ لماذا؟ لأنَّه سيؤثر على دين الله سلباً، والناس ستضل بعد ذلك، ولا يستطيع كثير من الناس أن يفرق بين الإكراه وغير الإكراه؛ لذلك ثبت الإمام أحمد وثبت محمد بن نوح حتى قُتل محمد بن نوح ولكن الإمام أحمد رضي الله عنه ورحمه ثبت إلى أن خلَّصه الله سبحانه وتعالى من شرِّ هذه الطائفة ونجَّاه ورفع الله سبحانه وتعالى ذكره إلى يومنا هذا وإلى غد وبعد غد إن شاء الله؛ للموقف الذي اتخذته من الثبات على الحق حتى جعل الله سبحانه وتعالى نصرة الحق على يديه.

حتى قال بعض السلف بأنَّ الله سبحانه وتعالى نصر دينه بأبي بكر يوم الردَّة وبأحمد بن حنبل يوم الفتنة.

صبر وثبت ونصر الله الحق على يديه حتى قيل في بعض الأخبار بأنَّ الكثير من الناس كانوا ينتظرون ما يقوله أحمد حتى يكتبوا؛ القرآن مخلوق أم ليس بمخلوق، فثبت وناظر الجهمية وجادلهم وأقام الحجة عليهم بأنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وبقي على ذلك ونصر الله سبحانه وتعالى به الدِّين وعقيدة المسلمين.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)**

هذه الآية دليلٌ واضح على أنَّ القرآن الذي بين أيدينا هو كلام الله، تكلم به حقيقة كيف يشاء سبحانه؛ فعقيدة أهل السنة والجماعة:

(أنَّ القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود).

**أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامَ اللَّهِ:** هذه الآية والآيات التي ستأتي دليلٌ على ذلك {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}.

**منزل:** سيأتي أيضاً الأدلة على تنزيله منها قوله تبارك وتعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}؛ فهو منزل من عند الله تبارك وتعالى.

**غير مخلوق:** لقول الله تبارك وتعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}؛ ففرّق الله تبارك وتعالى بين الخلق وبين الأمر، والأمر: القرآن، وكلّ ما جاء فيه فهو من أمر الله تبارك وتعالى، والخلق هي المخلوقات؛ ففرّق بين الخلق والأمر.

**منه بدأ؛ أي:** كلاماً له، أي: أَنَّ الله سبحانه وتعالى تكلم به، فبدأ من عنده.

**وإليه يعود؛ أي:** أنّه في آخر الزمان يرفعه الله تبارك وتعالى كما جاء في الحديث الصحيح: حتى لا يبقى منه شيء لا في الأوراق ولا في الصدور ولا في غيرها، فيرفعه الله سبحانه وتعالى إليه وهذا جاء في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

هذا الذي يعتقده أهل السنة والجماعة في القرآن الذي هو كلام الله تبارك وتعالى.

ثم قال المؤلف: **{وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}**

{وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ} هنا ذهب المؤلف إلى أن كلام الله هو القرآن، وجعله الله سبحانه وتعالى كلاماً له؛ فهو صفة من صفاته تبارك وتعالى.

قال: **{يُحَرِّفُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ}**

وهذا أيضاً فيه إضافة الكلام إلى الله تبارك وتعالى، وسمى القرآن كلامه تبارك وتعالى، فكلام الله الذي أرادوا تبديله هو ما جاء في القرآن.

قال: **{وَأَوَّلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ}**

أي: أضاف الله تبارك وتعالى الكتاب إليه؛ وقال: {مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ} فأضافه إلى نفسه لأنه هو الذي تكلم به.

قال: **{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}**

الشاهد قوله: {يَقُصُّ} فالقصص لا يكون إلا قولاً؛ فهو كلام الله تبارك وتعالى.

انتهى المؤلف من الاستدلال على أنَّ القرآن كلام الله تبارك وتعالى، وسيبدأ بالشرط الثاني، فيثبت أنَّه منزل من عند الله.

قال: **{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ}**

إذن فهو منزل من عند الله تبارك وتعالى.

قال: **{لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}**

الشاهد فيه قوله: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ} فهو منزل؛ لكن على نبي الله تبارك وتعالى وللأمة أجمع.

قال: **{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (١٠١)**

**{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}**

وقوله: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ}، الله سبحانه وتعالى نزل هذا القرآن من عنده.

وقوله: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ} أيضاً دليل على أنَّ هذا القرآن منزل تنزيلاً.

هذا ما يتعلق بمسألة القرآن وصفه الكلام، وكما ذكرنا هل القرآن مخلوق أم أنَّه كلام

الله؟ هذا راجع إلى إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى، وهذه الصفة من الصفات العظيمة التي خالف فيها أهل الضلال، حتى قال بعض العلماء: إنّما سُمي أهل الكلام أهلَ كلام لأنّ أعظم ما خالفوا فيه مسألة كلام الله تبارك وتعالى، والبعض قال لكثرة تقريرهم مسائل الاعتقاد بالكلام وبالعقل.

وشبهتهم في هذه القضية، وغيرها من الصفات واحدة؛ وهي أنّ الحوادث لا تحلّ إلّا في الأجسام، والأجسام مخلوقة، وإذا أثبتنا هذه الحوادث- التي هي كلام الله سبحانه وتعالى وأفعاله- إذا أثبتناها لله؛ فنكون قد أثبتنا أنّ الله جسم، والجسم مخلوق؛ فيكون الله مخلوقاً.

هذه كلها لوازم، ومع أنّ هذه اللوازم لا أصل لها؛ إلّا أنّهم التزموها وبنوا عليها مذهبهم الفاسد؛ وهذا كلّ باطل طبعاً، ولا تُسلم أصلاً أنّ الكلام لا يكون إلّا في الأجسام والأجسام مخلوقة، هذا كلّ لا يسلم به؛ فكلام الله سبحانه وتعالى وكونه حادثاً- يسمونه حادثاً أو لا يسمونه حادثاً- ليس بمخلوق، ولا يعني كونه صفة لله أنّ الله تبارك وتعالى مخلوق، لا يلزم هذا البتة؛ لكن اضطرهم إلى هذا اللازم مقدمات ثانية طويلة الحديث.

**قال المؤلف: (وقوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ} (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ)**

انتقل إلى مسألة أخرى؛ وهي إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وهذه أيضاً من الصفات العظيمة التي خالف فيها أهل الباطل أهل الحقّ مع أنّ أدلتها واضحة وصریحة؛ وهي رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة، فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أنّ المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وأنّه لا يرى أحدٌ ربّه في الدنيا، ولكن يوم القيامة المؤمنون يرون ربهم، ويستدلون على ذلك بأدلة؛ منها ما ذكره المؤلف {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ} (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ}.

{وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ} أي: حسنة فيها نصرة، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} أي: تنظر إلى الله تبارك وتعالى؛ وهذا الشاهد من الآية: أنها إلى ربها ناظرة، أي: تنظر إلى الله تبارك وتعالى؛ ففيها إثبات رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة.

وقال: **{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ}**

الأرائك: يعني السرائر والوسائد التي يتكئون عليها، متكئين على سرائرهم ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى.

قال: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}**

هذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله، من أين فسرنا هذا التفسير؟ من حديث النبي ﷺ: أنه ذكر الزيادة؛ فقال: هي النظر إلى وجه الله، فتفسير هذه الآية أخذ من النبي ﷺ، فنثبت بهذه الآية مع الحديث أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة.

قال: **{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}**

{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا} أي في الجنة، كل ما تشتهي أنفسهم يأخذونه وينالونه، {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} أي: مزيد على ما يشاءونه؛ وهو النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى؛ هو (المزيد) الذي سينالونه.

هذا بالنسبة للآيات التي ثبتت رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة والأحاديث كثيرة وستأتي إن شاء الله؛ منها قوله ﷺ: "إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"، إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون القمر، الآن الذين في المشرق والذين في المغرب كلهم يرون القمر؛ أنتم سترون الله سبحانه وتعالى بهذه الطريقة، (ولا تضامون في رؤيته) لا يحتاج أن ينضم بعضكم إلى بعض أو أن تتزاحموا

لرؤيته؛ بل كلّ واحد سيرى الله سبحانه وتعالى من مكانه، وهذا الحديث واضح وصريح وهو متواتر ولا إشكال فيه، فكلّ هذه الأدلة تدلّ على رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة.

وقد نفاها أهل الباطل وتعلقوا بشبهات هي أوهى من خيوط العنكبوت؛ منها: قول الله تبارك وتعالى لما طلب موسى أن يرى ربه: {لَنْ تَرَانِي} فتعلقوا بهذا، وقالوا: هنا قد نفى الله سبحانه وتعالى الرؤية عن نفسه، وهذا من باطلهم، وليؤكد الزمخشري الباطل الذي هو عليه والاعتقاد الذي اعتقده قال: (لن) في لغة العرب تفيد التأييد.

ومعنى التأييد؛ أي: إذا قال له لن تراني؛ فلن تكون هناك رؤية لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا ليثبت عقيدته الفاسدة.

وردّ عليه ابن مالك وغيره من علماء اللغة وقالوا هذا الكلام باطل غير صحيح؛ (لن) تفيد نفي الشيء في وقته، ولا تفيد نفيه فيما بعد ذلك كما هاهنا في قوله تعالى: {لَنْ تَرَانِي} لما طلب موسى من الله الرؤية في الدنيا؛ قال له إنك لن تراني، أي: في الدنيا؛ أمّا في الآخرة فلم يتكلم معه في هذا الأمر.

فتفسير الآية على أنّه لن يراه أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ هذا تحكم وباطل، فموسى طلب الرؤية في لحظة؛ فقال له لن تراني في تلك اللحظة.

طبعاً هم أنفسهم يعلمون أنّ مثل هذه الأدلة التي يذكرونها هي شبهات فقط وليست أدلة، هم مقرون بهذا ويعرفونه؛ لكن الذي اضطرهم إليه هي الشبهات الأساسية التي طرأت على عقولهم.

فإنهم لما شغلوا عقولهم ونفوا عن الله تبارك وتعالى الصفات، وقالوا يلزم كذا ويلزم كذا ويلزم كذا- وهي لوازم ما أنزل الله بها من سلطان- لما التزموا هذه اللوازم ووجدوا أنّ

أدلة الكتاب والسنة تخالف هذه اللوازم؛ عندئذ صاروا يريدون أن يتخلصوا من أدلة الكتاب والسنة.

لأنَّ القاعدة الأساسية عندهم أنَّ العقل مقدم على النقل، فإذا أثبت العقل عندهم أو نفى؛ وُضِعَ النقل على جنب؛ فيلزم أن يُضعف ما جاء مخالفاً للعقل من الأدلة الشرعية، أو أن يُحرف؛ وهم يسمونه تأويلاً، أي: يُؤوّل، هذه قاعدتهم، يقولون: إمّا أن يُضعف أو يُؤوّل، هذا الذي يفعلونه بأدلة الشريعة.

لأنَّهم لما ضعفت مكانة القرآن والسنة في نفوسهم وما بقي لها ذاك الوزن، وصار عندهم العقل هو الضابط الأساسي في القضية؛ صار كلّما جاءهم دليل من القرآن والسنة رموا به خلف ظهورهم، ومشوا بناء على باطلهم وعقولهم الفاسدة. فمهما أتيتهم من دليل من الكتاب والسنة؛ يتلاعبون به.

وليس ذاك الكوثري عنا ببعيد عندما جاء عند حديث الجارية التي قال لها النبي ﷺ: "أين الله؟"، قالت: في السماء، قال: "اعتقها فإنّها مؤمنة"، ما جرأ على تضعيفه من هم مثله من القدامى؛ لكنّه لجرأته وقلة دينه تجرأ على ذلك وضعف الحديث، مع أنَّ الحديث متفق على صحته، لا يُخالف أحدٌ في تصحيح هذا الحديث، حتى الذين يُحرّفون الصفات ولا يثبتون علوّ الله على خلقه؛ لا يُضعفونه لكنّهم يحرفونه، يؤولونه، أما هو فتجرأ وتطاول أكثر وضعف الحديث نسأل الله السلامة والعافية، هذا ما يفعل الهوى بأصحابه وإلى هذا يجر العباد.

الشاهد من الموضوع: أن شبهتهم الأساسية هي هذه القضية؛ أنَّ عقلهم هو الذي يحكم على الله؛ ما الذي يجوز في حق الله وما الذي لا يجوز في حقّه عزّ وجل، عقولهم هي الضابط وليس الشرع.

الله سبحانه وتعالى الذي يتحدث عن نفسه أعلم بحاله وأعلم بنفسه أم أتم الذين لم تروه أعلم به؟ سبحان الله عجيبة هذه الجرأة.

هذا ما يتعلق بإثبات أن القرآن كلام الله حقيقة.

**قال المؤلف: (وهذا الباب في كتاب الله كثير)**

يعني هذا الباب: إشارة إلى الأسماء والصفات، الأدلة التي تدلّ على إثبات صفات الله وأسمائه كثيرة جداً في القرآن وفي السنة؛ متواترة، فلا ينكرها إنسان عاقل، ثم يدعون أنهم أصحاب العقل وأصحاب الذكاء.

**قال: (ومن تدبر القرآن طالبا للهدى منه؛ تبين له طريق الحق)**

لا شك في ذلك، من تجرد عن هواه وتخلّى عن كلّ ما ركبّه فيه غيره من قواعد وضوابط لا أصل لها في الشرع، ونظر في القرآن بعين الإنصاف، ونظر في القرآن بتدبر وتأمل وتفكر، مع إخلاص لله تبارك وتعالى؛ لا بدّ أن يعرف الحق وأن يهتدي إليه. قال: (ومن تدبر القرآن طالبا للهدى) أي: كان هذا قصده، ليس قصده أن يتلاعب بالقرآن وكلّمًا جاءت آية تُخالف ما عنده حرّفها، وكلّمًا جاء حديث يُخالف ما عنده ضعفه؛ لا يصلح هذا؛ يجب أن تنظر في القرآن بعدل وبطلب للهدى وتكون خالصاً في نيتك.

قال: (تبين له طريق الحق) أمّا من نظر في القرآن وقد ملأ عقله وذهنه بتخاريف المتكلمين؛ فهذا لن يهديه السبيل إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالى أمراً. هذا ما جاء في القرآن من مسائل الأسماء والصفات التي ذكرها المؤلف رحمه الله في كتابه، ثم سيذكر أحاديث النبي ﷺ التي تدلّ على صفات الله تبارك وتعالى. نكتفي نحن بهذا القدر ونكمل في الدرس القادم بإذن الله تعالى.